العدد (2124) السنة الثامنة - الاحد (8) أيار 2011 ◆ http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com

زهـــا حـديـد فـــي بـاريـس

■ محمد سعيد الصكار

يوم (الخميس ٢٨ نيسان ٢٠١١) ازدهى معهد العالم العربي في باريس بأجمل تجلياته الثقافية والفنية والمعمارية بتضييف سيدة العمارة العالمية والعراقية، زها حديد .

كانت المناسبة هي افتتاح معرض الموهوبة (زها) في تحفتها المعمارية الفنية التي أقيمت في باحة المعهد بمشاركة حيوية من مؤسسة (شانيل) ذات الحضور الراقي في عالم الأزياء والعطور التي تعرفنا عليها منذ أكثر من نصف قرن، كان المدعوون كثاراً امتلأت بهم كل كراسي صالة العرض في المعهد، وجلهم من أرباب الفن والأدب وذوي الحضور في واقع الثقافة المتنوعة المصادر، وكان التنظيم على أعلى درجة من الإتقان، مما لم نشهد له مثيلا في تاريخ المعهد، كما كانت الضيافة على أرفع مستوى، والخدمة على ألطف ما يكون، وكان لحضور أدونيس وصلاح ستيتيه وإثيل عدنان، ممن اعتلوا المنصة احتفاء جدير بمواقعهم الثقافية، على الرغم من ملاحظة بعض الحاضرين إلى كون النصوص التي ألقوها كانت طويلة لا تحتملها المناسبة . على أن لا كارفيلد مصمم إنتاج (شانيل) المعروف ومداخلة زها حديد التي بدت واثقة ومرحة ، ومداخلة عدد من المعماريين العالميين والرئيس دومينيك بوديس، وحضور السيد (لوفالوا) رئيس المعهد، والحيوية الفائقة للسيدة منى خزندار، مديرة المعهد، أضفت جميعها على هذا النشاط الثقافي المرموق مستوى من الهيبة التي تستحقها سيدتنا الموهوبة (زها حديد) التي بدت عراقية أصيلة، في حين غاب العراقيون عن المناسبة، إذ لم يحضر منهم سوى خمس شخوص، أنا من بينهم، وكان الأولى أن تحتفي السفارة العراقية في باريس بهذه المناسبة النادرة، فتعقد لقاءً لهذه الفنانة الرائعة، وتعرف الجالية العراقية بإنجازاتها، وتعرفها عليهم . وقد كان بودّي أن أتذاكر بذلك مع السيد السفير العراقي بهذا الموضوع، إلاّ أن زحمة الحضور فرقت ما بيني وبينه .

أما المعرض (معرض زها) فكان غاية في البهاء والاستلهام الرفيع لتقنيات العصر، والرؤية الطليعية لمستقبل الفن المعماري، والعذوبة في التعامل مع الموجودات، والكشف عن مكامن جمالها وخصوبة عطائها ، تحية لأبنتا المبدعة زها حديد، ولمن أتاح لنا حضور هذه الأمسية الفنية الباذخة . وتحية لكل من أشاع البهجة والفرح والتأمل في ما بين يدينا من كنوز المعرفة والفن الرفيع .

حملت اسم القاص الرائد محمود عبد الوهاب

ندوة تأسيسية لمؤسسة السيّاب عن أثر الترجمة في القصة العراقية

جاسم العايف

أقامت مؤسسة السياب للطباعة والنشر والترجمة ومقرها في / لندن/ ندوة تأسيسية على قاعة المكتبة المركزية بجامعة البصرة، تحت عنوان ((أثر الترجمة في عالمية القصة القصيرة في العراق)) وأطلقت عليها، اسم القاص الرائد الأستاذ (محمود عبد الوهاب). تضمنت الندوة ، محاضرتين. الأولى للدكتور فهد محسن فرحان، أستاذ النقد والأدب الحديث في جامعة البصرة /كلية الآداب/ وبعنوان" النص المعرفي الإبداعي - حدائق الوجوه اختياراً" .أوضح د. فهد إن كتاب " حدائق الوجوه" للقاص محمد خضير و الذي أصدرته "دار المدى"، هو نص معرفي بامتياز من ناحية البناء والتنظيم، وان مثل هذا النص و من خلال الحفريات المعرفية نجده لدى المتصوفة الإسلاميين، وكذلك في بعض قصائد الشاعر محمود البريكان الذي عمل على " التعرية الزمنية" في بعض قصائده. وأضاف: كما كتب "باختين" فإن الفكرة في النص هي " البطلة" والموضوع هو "شعرية الفكرة"،وهذا ما نكتشفه في كتاب "حدائق الوجوه" وهو كتاب يذهب نحو تقليص حرية المتلقي ، كون إن اللغة فيه تحتوي على الفراغ من جهة ، وإنها أيضاً تحتوي على البياض من جهة ثانية، في ثنائيات منها: الطين/ النار ، الوجه/ القناع، الفراغ/ الامتلاء..الخ. كما قال د. فهد: في كتاب "حدائق الوجوه" ثمة اكتشاف لشعرية الزوال من خلال ثنائية الجمال/ الموت، وقد عمد القاص محمد خضير إلى العمل على الإبقاء على التفكير المتوهج والسرد المتواصل و المتوتر ، في عالم بلا مركز. وكانت المداخلة الثانية للقاص كامل فرعون بعنوان"انفتاح الشكل القصصي العراقي على ذاته- قراءة في المنجز القصصي العراقي". وقد تحدث في بداية الندوة د.صلاح حسن حياوي الذي ذكر انه في هذا الصباح سنشم" رائحة الشتاء" وسنجوب أزقة ودهاليز وسراديب وكوى "المملكة السوداء" وسنتجول بحرية لا حدود وأسوار لها في" حدائق الوجوه"، محلقين مع" رغوة السحاب" باحثين عن" ثريا النص"، مؤكداً ضرورة تكرار هذه الندوات التي تهتم بالمبدعين البصريين خاصة والعراقيين عامة. وقد أدار الجلسة البحثية د. عامر عبد السعد الذي بين أهمية مثل هذا اللقاء وضرورة الوقوف على كيفية ترجمة القصة العراقية القصيرة إلى اللغات الأخرى، وأكد د.السعد إن لهذه الندوة ميزة أساسية هي حملها اسم القاص الرائد الأستاذ " محمود عبد الوهاب" احد أهم صناع الجمال السردي العراقي الحديث. كما تحدث رئيس المؤسسة " جواد المظفر" الذي أوضح إن المؤسسة تأسست في لندن عام ٢٠٠٧ وبدوافع معرفية- ثقافية ، وإنها تعمل على ترجمة الأدب العربي بجميع أجناسه ، و إن انطلاقتها من البصرة ، كونها تحمل اسم الشاعر (السياب) لان البعد المكاني في هذا العالم قد تلاشى، من خلال اعتماد التكنولوجيا، التي تدعنا نعيش في عالم مقترب وملتصق بحميمية، مع إدراكنا للبعد الجغرافي والذي تقلص كثيراً ، والمؤسسة اعتمدت في عملها طرائق علمية، منها اعتمادها على مستشارين عرب وعراقيين وأجانب متخصصين في حقول الترجمة ، وإنها تقوم على ذلك بالاتفاق مع دور نشر عالمية وعربية رصينة، ولها تاريخ حافل وخبرة متراكمة بالتراجم في جميع اللغات العالمية، وان ميزة هذه الدورة في حملها اسم القاص الرائد " محمود عبد الوهاب" كونه احد أعمدة التحديث القصصي العراقي القصير منذ الربع الأول من العقد الخمسيني ومازال كذلك. وقد دعي للحديث القاص الأستاذ "محمد خضير" الذي شدد على ضرورة اهتمام المؤسسات الثقافية الرسمية والجامعية بالذات بضرورة تأسيس كليات للغات متخصصة بالترجمة ، و مراكز أبحاث تعمل بطريقة منظمة على ترجمة آثار المبدعين والعلماء العراقيين الأحياء، لقاء حقوق مادية مضمونة وموثقة رسمياً ،من خلال "قوانين وتشريعات تؤمن لهم العيش المناسب والكريم " ، والعمل معهم ومع نتاجاتهم باحترام مناسب ولائق مع مكانتهم الثقافية وتاريخهم الإبداعي والعلمي، وحفظ حقوقهم المادية عبر الاهتمام بطرائق حياتهم الراهنة وهم يواجهون مصاعب عدة، كما دعا الأستاذ القاص " خضير" إلى حفظ تراث الراحلين منهم ، والاتصال بورثتهم والعمل على "ضمان حقوقهم قانونياً وتشريعياً كذلك " كما تفعل أغلب دول العالم . وتخلل الجلسة تكريم القاص الأستاذ "محمود عبد الوهاب" بمنحه "درع المؤسسة"، وتقديم شهادات تقديرية لمجموعة من المبدعين البصريين منهم صالح فاضل الخصيبي ومزهر الكعبي ، و الفنان التشكيلي صدام الجميلي، والفنانة التشكيلية ابتهال الخالدي ، والموسيقي الدكتور ناصر هاشم الذي قدم بعض الأغاني العراقية مع عزف منفرد على آلة العود، والقاص والروائي د. لؤي حمزة عباس ، ود. عادل الثامري وبعض الأساتذة الآخرين. وكذلك المترجمين الأجانب الذين ساهموا في ترجمة مجموعة من القصص العراقية القصيرة ، ومنهم إيرك ونكل، وريمون شخاشيرو، وإلين كلاك، وفرد براغنل.

وختم الجلسة الأستاذ "محمود عبد الوهاب" بحديث عن الترجمة وأهميتها قائلا:" انه مهما كان المترجم بارعاً، في اللغتين ، المترجم منها والمترجم إليها ، فإنها لا تعدو أن تكون سوى قراءة من القراءات التي هي اقرب إلى الأصل، وليس الأصل ذاته. وأضاف: إن اللغة بمعناها اللساني ، لا تصلح للترجمة شعراً أو نثراً، ما لم تكن لغة تتحكم بنوعية النص، فلغة الرواية لغة سردية وليست لسانية ، و مضمون الرواية لا يعني فناً، ما لم يكن تقنياً فبالتقنية يتولد المنجز الإبداعي شعراً أو سرداً. وأضاف : نلاحظ أن ثمة عدم دقة في ترجمة بعض العنوانات القصصية والروائية، مثل ترجمة(الشقيقات) لجيمس جويس وصوابها(الأختان)، وكذلك (لمن تقرع الأجراس) لهمنكواي وصوابها (للذين تقرع لهم الأجراس)، وأيضاً عنوان قصة همنكواي (القتلة) وصوابها (القاتلان) ، إذ ليس في القصة أكثر من قاتلين اثنين، وقد التبس الأمر على المترجم، لكون العنوان الأجنبي جمعاً ، وليس مثنى كما في متن القصة، وهناك عنوانات تفرضها دور النشر تجارياً على المترجم لإثارة اهتمام القارئ كشبكة صيد له.

في البدء

ثيسيغر ويونغ وكريستي.. في قطار الشرق السريع

■ علاء المفرجي

الأسبوع الماضي حط قطار الشرق السريع (الاورينت اكسبرس) في باريس في إطار الاحتفال بالدورة الحادية عشرة لمنح جائزة الرواية البوليسية، وهي الجائزة التي أنشئت للاحتفاء بالمواهب الجديدة في أوروبا في جنس الرواية البوليسية، وتبنتها دائرة السكك الحديدية في أوروبا تيمنا بالروائية البريطانية أجاثا كريستي التي جعلت من هذا القطار مسرحاً لأحد أشهر رواياتها.

مثل هذا الاحتفال بدأ قبل احد عشر عاماً وما زال مستمراً.. تنبه الغرب إلى قيمة كريستي وقطارها وأهمية ما تركت من آثار مهمة وصلت إلى أكثر من مئة عمل روائي في مجال الرواية البوليسية.. هم يكرمونها لهذا السبب بالطريقة التي تستحق، ولكن أيضاً لأنها من أصولهم وتحمل جيناتهم (ابنة لأب أمريكي وأم بريطانية).

لكنه في النهاية قطار الشرق السريع، وإن كانت صفة السريع بالطبع هي للقطار وليست للشرق.. هم مارسوا عسفهم مع الجغرافيا ليستأثروا بكريستي، بينما نحن امتهنا التاريخ- كما العادة- لننسى انها سليلة مستعمر عبثت يوم بعظام أسلافنا في الأقصر، وأور، وبترا، وشيراز.

ما الذي فعلناه نحن لهذه (الأجنبية) التي وفدت الينا ملتحفة بغطاء المستعمر برفقة زوجها عالم الآثار لتعمل في التنقيب والاهتمام بالقطع الأثرية في أور ونينوى والتي وصل بها الأمر إلى درجة تنظيفها بمستحضرات العناية بالبشرة.

الغرب يحتفي بأجاثا كريستي بقطار الشرق، بينما الشرق يتعمد النسيان.. نسيان امرأة كان الشرق بالنسبة لها إلهاما، وفرصة، للتأمل والكتابة جعلت الغرب يرسم هالة سحرية لهذه المرأة التي دغمت في روحانية الشرق وسحره والتي منحها- أي الشرق- الشهرة التي تستحق.

مدن بلاد الرافدين من بين مدن الشرق التي شملتها رحلات كريستي، كانت منعطفاً مهماً في حياتها وإبداعها.. هناك التقت أول مرة بزوجها العالم الاثاري ماكس مالوان، وهناك أيضاً كانت شاهدة على العثور على الـ(نمرود).. بل هي من أطلق عليه (مونااليزا نمرود) هذا التمثال الذي يرجع تاريخه إلى ثمانية قرون قبل الميلاد هي .. أيضا من عاش لحظات اكتشاف قصر نبوخذنصر والقيثارة السومرية.. انها من ألهمتها مدن ما بين النهرين أفكار أفضل ما كتبت (جريمة في بلاد الرافدين) و(المجيء إلى بغداد)و(بوابة بغداد) .. بل ان فكرة القطار السريع نفسه جاءتها وهي عائدة من العراق في هذا القطار.

الغرب يمنح الجوائز في قطار الشرق الذي صاغت منه كريستي واحدة من أجمل قصصها.. والشرق يأنف من ابنة الإمبراطورية التي لم تغرب عنها الشمس والوافدة إليه تحت تأثيرسحره وجماله.. هو لا يرد إليها الجميل على الأقل في إسهامها في إزاحة الغبار عن طلاسم حضارته ولا نقول بسبب سحره وغرائبيته التي ألهمتها أجمل ما كتبت.

تماماً وبزمن موازٍ لزمن كريستي سحر الشرق رحالة مثل ولفرد ثيسيغر الذي غادرنا قبل ثمانية اعوام باعلان سمعناه من اذاعة البي بي سي مفاده: (مات صديق العراق... مات صديق الاهوار) وزميله كافن يونغ الذان يعرفان جيداً عجرم بن حسين وسيد صروط وأولاده وجثير الفريجي اكثر مما نعرف ... تماماً كما يعرفون تلك البقعة في جنوب الوطن التي تذهب الروايات انها هي جنات عدن.. الاهوار.. والتي وثقاها تماماً بيئة وحيوات وثقافة وتاريخا.. فكان ما سطرا مرجعاً – ويا للمفارقة- لمن يريد ان يسبر اهوار الجنوب.

يونغ وثيسيغر رحالة من الغرب وفدا إلى الشرق ليستكشفوا غموضه وسحره وأساطيره ليجدوا أنفسهم عاشقين له..

ما الذي فعلناه لهم؟

ثيسيغر ويونغ وكريستي رموز تستحق ان نحتفي بها، تكريماً واستذكاراً وجوائز وان نخلع أسماءهم على أمكنة نحب.. في قطار للشرق ليته ينهض من سباته.

أيـــار.. أقسى الشهور

علي عبد الأمير عجام×

إلى أخي النبيل..أخي القتيل مرة أخرى

هذه هي السنة السابعة لعراق بدونك، لحياة بدونك، لفوضى ما انفكت تضطرب وتصطخب بعدك، ولأمل شحّ كثيرا بعد ان سفك دمك. انه أيار أقسى الشهور، شهر موتك، وموسم اغتيالك، الذي كان لقتلتك موسما لإعلان اغتيال الفكرة المشعة التي لطالما كانت عليها بلادك، بلادنا التي أحببت وأخلصت حد الوفاء. ومثلما كنت ترد على قبح العيش بجميل روحك وخضرتها، ظلت بلادنا ترد على الموغلين في تجريحها قادرة على الخضرة وابتكار الياسمين.

أستعيد هنا يا أخي ونبراسي ومعلمي ما كتبته لك في أيار العام ٢٠٠١ وفي لحظة غريبة على الأقل في المكان الذي شهد الكتابة، وبدأت رسالتي هكذا:

لا أدري ما الذي دفعني إلى أن أكتب شيئا لك وأنا على إرتفاع ٣٣ ألف قدم في طريق عودتي من لندن إلى عمّان؟ أقلت لا أدري؟ لا ..إنني أعلمه جيدا، الدافع القوي والمؤثر، إنها لحظة صافية شديدة الوضوح، لحظة المكاشفة، لحظة مواجهة الذات بعد هذا المشوار الطويل الطويل من الألم.

تكاد تكسر ظهري، حاجتي إلى اللقاء بك... أعياني يا أخي ان أكون متعبا، وحيدا، تكتظ روحي بالعناءات مثلما تكتظ بالقدرة على فعل الخير والطرق بنعومة على أرواح الآخرين، وإن كانت تلك واحدة من أكثر المهمات إثارة للجلبة والالتباس، لاسيما حين يقابل فعل الخير بالجحود، كأنني في ذلك أعيد توليد الجراح ذاتها التي ثقلت بها روحك: الجحود وما أوفره كحصيلة ممن علمتهم الرقة والأمانة والإخلاص والوفاء.

تراني الآن أعود إلى نبش الذكريات والوقوف عند موروثنا البيتي، أقصد ما ورثناه عن أبينا من طيبة متناهية، وثقة زائدة بالآخرين، وشفافية في الكشف عن النفس، وما ورثناه عن أمنا من بصيرة متوقدة، وحب للمعرفة وشخصية حاضرة وقدرة على المحبة لا تنتهي.

الآن أكتب إليك في الطائرة، وأطل من النافذة على جبال الألب: عظمة الخالق بين علو هش وأرض صلبة وبينهما تنهض عبقرية الإنسان وهو يبتكر وسائل التحدي ولكن في الوقت ذاته يذهب إلى إحكام وسائل العزلة كلما توقع انه اكتشف وسيلة إليكترونية لتجاوز المسافات، فباتت اللمسة الإنسانية غائبة، تحكم فطرتها وعفويتها ودهشتها، حواجز تحيل البشر إلى لاعبين مع الأزرار، كما هي الحال حين يبعث ولدي رسالة اليكترونية لي وأنا على مبعدة أمتار منه!

أنا على ارتفاع شاهق ولكن روحي تنخفض بحدة الآن لتصل إلى خضاب الأرض التي تربيت بين مساربها وتكويناتها، أرض بعيدة حقا ولكنها الأقرب من كل شيء، أرض بسيطة التكوين والمعالم، ولكن روحا في إنسانها تكاد تزلزل تلك البساطة. أنا أتحدث هنا عن تلك الروح وعساني وفقت في أن أكون ابناً باراً لها ومتمثلا شهقاتها وهي تضيء في نفوس مختارة، بينها كانت نفس مهذبة وحلوة وصبور وكريمة وعادلة وخيّرة ومحبة للجمال ومدافعة عن الحق، هي التي شهقت عند أخي وصديقي ومعلّمي.

لست يائسا، لكن قيمنا تتبدد. نعم انك متفائل أبدي، ومن هنا أقول، ان تلك القيم قد تأخذ أطوارا غير التي عرفنا وخبرنا، ففكرة الحق والعدل والخير، فكرة جاذبة وتكاد تكون الفكرة المولدة للتاريخ الإنساني، لكن حرارة الفكرة لجهة علاقتها بالحضور الإنساني تكاد تخبو.

ضمن هذا الاسترسال في البوح- الألم، في اللقاء الافتراضي- الحقيقي معك، وإن كان على إرتفاع ٣٣ ألف قدم، ثمة نوع من المشاعر أطل فجأة، نوع مشاغب وجميل: أن اكتب شوقا ووجدا وأملا...تعبت يا أخي وأريد حقا ثنية تؤويني، ثنية لن أجدها ما حييت الا من ثنايا روحك الشاهقة.

كانت تلك سطوري إليك في أيار عام ٢٠٠١، وتوهمت ان ما بحثت عنه من ثنية تخفف عني هجير غربتي، قد بدا في المنال حين احتضنتك في حديقة دارك بعد عودتي في نيسان عام ٢٠٠٣، لكن قتلة من كهوف الكراهية خرجوا بعد نحو عام وفي ١٧ أيار ليروّعوا ثنايا الورد والمعرفة ببارودهم. الآن أنا يا أخي ونبراسي يتيم الثنايا الحانية، الآن أنا في هجير موتك القاسي.. لكن الأقسى هو: كيف أكون جديرا بك؟

تـــوني مـــوريـــســـون: نـعـمـة خـلاصـنـا

بربارا كرستيان

ترجمة: نجاح الجبيلي

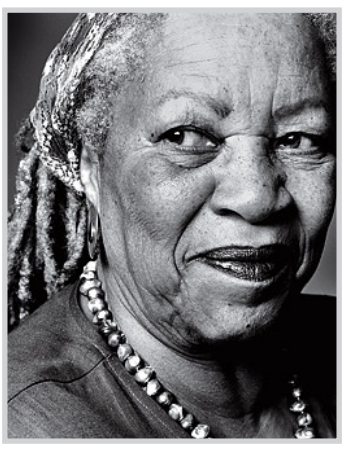

أتذكر المرة الأولى التي حملت بيدي رواية لـ"توني موريسون". لقد قرأت في عام ١٩٧٠ مراجعة لرواية اسمها "العين الأشد زرقة" مؤلفتها كاتبة زنجية وهي منشورة في باب "مراجعات الكتب" ليوم الأحد في صحيفة نيويورك تايمز وكانت مصادفة غريبة جداً إذ أنني ابتعت الكتاب فوراً.

وبعد أن اندهشت من هذه الحكاية الغنائية عن فتاة سوداء ترغب في عين أشد زرقة، وبجوقة المؤلفة الزنجية المكونة من أصوات النساء الزنجيات عرفت بداعة التقليد السابق لكتابات النساء السوداوات والذي لم يكن معروفاً حتى ذلك الحين. ميزت الطريقة التي رويت بها القصة، كانت بالشكل الذي تروي به أمي القصة- قصة بسيطة تزداد تعقيداً فتصبح أسطورية بعيدة عن الحل. ومع ذلك علمتني درساً كنت بحاجة لمعرفته.

في العقد التالي أردت أن أؤلف كتاباً عن عرف الكتابة النسوية الزنجية، بينما أخبرني شخص في الأكاديمية وفي عالم النشر بعدم وجود مثل هذا التقليد. لم أكن وحدي، فالأخريات، والعديد منهن صديقاتي، اللاتي نادراً ما يقرأن "الروايات الجادة" تناقلت أيديهن رواية "العين الأشد زرقة". وحينما نشرت الرواية الثانية لـ"موريسون" عام ١٩٧٣ بعنوان"صولا" ،التي أثارت جدلا واسعاً، تناقشنا الواحدة مع الأخرى بواسطة الهاتف. وفي هذه الرواية تقارب موريسون بين شخصيتين هما "نيل" المربية التقليدية و"صولا" المرأة التي أصرت على تكوين نفسها في حكاية تدور معظمها عن تاريخ عزلة الزنوج في أميركا إذ أن بعضاً قد أصبن بالهياج حد الغضب الذي كشف عن مكنون أنفسنا. أتذكر أن إحدى صديقاتي أخبرت زوجها أن عليه أن يقرأ رواية "صولا" لأنه بينما كان اسمها "نيل" فإن بداخلها ، كما بداخل كل امرأة زنجية أخرى، لمسة من صولا الفظيعة والأنانية أيضاً.

قبل مدة طويلة من منح موريسون جائزة نوبل للآداب كانت النساء الزنجيات "العاديات" يسمينها "كاتبتنا". سميناها "توني" لأننا شعرنا جميعاً بأننا نعرفها. كانت توني تغني لعالم لم يكن أبيض أو ذكورياً إذ تعين علينا ،نحن النساء الزنجيات، أن نكتشف أنفسنا، وبالنسبة إلينا فأنها قد فازت بجائزة نوبل مسبقاً.

في عام ١٩٧٥ كنت أعطي فصولاً دراسية عن الكاتبات الزنجيات راحت كلمات موريسون تتردد على لسان نساء ورجال من أعراق مختلفة. وعلى الرغم من أن الرجال لم يرتاحوا إلى الطريقة التي كانت تضع بها موريسون المرأة في مركز رواياتها إلا أنهم كانوا يحبون صوتها فقد سماه أحد الطلاب "اللغة التي كنت أحلم بها".وهو الشعور الذي ترسخ فيه بعد قراءته روايتها الثالثة "نشيد سليمان"- ١٩٧٧. نعم إن موريسون كانت امرأة كاتبة لكن بوسعها أن تصور حياة الرجال ورغباتهم ومقاومتهم الطيران – مجازها عن قدرة الاستسلام إلى الحب الحر حتى تحت جنون الرأسمالية والعنصرية.

ألهبت رواية التشتت المسماة "طفل القار" -١٩٨١ ردة فعل عالمية. وبينما كنت أكتب هذه المقالة هاتفتني تواً إحدى طالباتي السابقات وهي "غرلين غربوال" من جنوب آسيا كتبت بحثها حول مؤلفات موريسون مبتهجة بتسلمها جائزة نوبل، وبالنسبة لها كانت موريسون هي الكاتبة التي حفرت عميقاً في تعقيدات ما بعد الكولونيالية بدرجة أكثر مما قد كتبه كاتب حي.

لقد كتبت عدداً من المقالات النقدية عن رواية "محبوبة" لموريسون الصادرة عام ١٩٨٧ والفائزة بجائزة البوليتزر، لهذا السبب يعرفها بعضنا لا بوصفها رواية فحسب بل صلاة وطقس الشفاء لبلدنا الذي أشعل محرقة الرق.

لا يزال الآخرون يتمعنون في بحثها التصحيحي عن نهضة هارلم في رواياتها الراقية فنيا "جاز"-١٩٩١ التي دفعت بالتجريب الأدبي إلى داخل القرن الحادي والعشرين. أما كتابها "اللعب في الظلام- عن السلالة والخيال الأدبي"-١٩٩١ فهو يضم مقالات تجعل من أسنان أي بروفسور إنكليزي تصطك انفعالا. أما المختصون بالدراسات العرقية مثلي فيرونه أساساً إعادة صيغة جديدة للأدب الأمريكي بأكمله.

وإذا نحيت النقد الأدبي جانباً تستثير ذاكرتي في الأغلب قوة مؤلفات موريسون حينما أدرت ورشة مع المرضى السود المضطربين عقليا باستعمال رواية "محبوبة" وبالنسبة لهم لم تكن الرواية صعبة بالطريقة التي وجدها العديد من القراء من ذوي العقول السليمة. إن الميزة "المتشظية" المفترضة لسردها كانت تعكس خوف البلد من التذكر لأن التذكر مؤلم وخطر فضلاً عن أنه يحرر النفوس، كانت هذه الميزة فطرية وطبيعية جداً لهؤلاء القراء.

وبينما كنا نحيط بالرواية التي هي عبارة عن أوبرا شعبية مميزة تذكرت حس موريسون بذاتها بوصفها كاتبة وعليها أن تكون نافعة بسبب نعمة التحرر التي يمتلكها جمهورها مع اللغة. إنها النعمة التي قادتها لاستكشاف عالم فيه يكون من المخاطرة المطالبة بالحرية ومن ثم القدرة على الحب ولكنها ميزة مباركة.

كم سنكون ثكلى دون الصوت المحرر لتوني موريسون وكم نحن محظوظون إذ نعيش في زمن نستطيع أن نسكن في لغتها ونشفى من خلالها؟

باربارا كرستيان: بروفسورة الأدب الزنجي في جامعة كاليفورنيا/ بركلي مؤلفة كتاب "الروائيات الزنجيات: تطور التقليد" -١٩٨٠ و "النقد النسوي الزنجي: منظورات عن الكاتبات الزنجيات- ١٩٨٥" إضافة إلى كتابتها سيرة أدبية لموريسون.

قناديل

الكاتب والناشر.. وتسونامي الأحداث

■ لطفية الدليمي

حضرت ندوة مصغرة في إحدى دور النشر جمعت كتابا وناقداً وناشرين ، تحول الحديث فيها من معضلات التوزيع و (خراب بيوت الناشرين) بعد إلغاء عدد من معارض الكتب العربية الدولية بسبب الثورات والانتفاضات، فقد حجز الناشرون مواقع لهم في المعارض ودفعوا أجور المساحات التي حجزوها مثلما تحملوا مبالغ باهظة لشحن الكتب إلى تلك البلدان وما إلى ذلك من متطلبات المشاركة في معارض الكتب العربية ، لكن المشرفين على المعارض لم يعيدوا المبالغ لدور النشر مما عطل بعضها عن أداء التزاماتها إزاء نشر الكتب المتفق عليها، وهذه معضلة طالت معظم دور النشر العربية التي تعوّل كثيراً على مردودات المعارض التي تكون الفرصة الوحيدة لشراء الكتب مع خصومات معقولة لشعوب لا تقرأ إلاّ في المناسبات .

أخبرنا في الندوة كاتب وناقد فلسطيني أنه كلما زاد تصفح أو استعارة كتاب في المكتبات العامة في إسرائيل يكسب كل من الكاتب ودار النشر حقوقا مادية عن كل استخدام للكتاب وترسل المبالغ إلى حساب الكاتب ودار النشر دوريا ، وهذه مسألة متبعة في بعض دول أوروبا حيث الشعوب المتفتحة للعلم والمعرفة تحرص على القراءة سواء في السرير أوالمترو والقطار والطائرة والمقهى والحدائق العامة، فأنت ترى الناس يحملون كتباً في حقائب يدهم ولا يبددون أوقاتهم في الثرثرة، أو كما يحدث عندنا من متابعة إدمانية للمسلسلات المصرية التي اتهمها الكاتب الاسباني غويتسولو بأنها (تخدر ذكاء وحساسية الشعوب العربية وتعمل على تغذية خيال الفقراء والمتسولين في القاهرة بالحلم بحياة أفضل حين يشاهدون الشقق الواسعة والفراش الوثير ..)

قال ناشر في الندوة (لدينا مشكلة كبيرة وأساسية في التعاطي بين الكاتب والناشر ، فكل كاتب عربي يحسب نفسه أجل من أن يخطئ وأكبر من أن يعرض كتابه على (محرر) يقترح تعديلات أو حذفا لمقاطع أو إضافة لفصول تغني العمل او الرواية ، ففي دور النشر العالمية ثمة محررون من ذوي الذائقة النقدية العالية والخبرة الإبداعية والحاسة التجارية، يتسلمون الرواية فصلاً فصلاً ويقرأونها ويعيدونها للكاتب مع مقترحاتهم التعديلية ويجري ذلك مع أعظم الكتاب وأكثرهم شهرة، ويقوم الكاتب بإجراء اللازم وإعادة الفصول إلى دار النشر ،وقد تحدثت اكبر روائية في أميركا (جويس كارول أوتس)عن ثقتها بالمحرر الأدبي لدار النشر التي تشتري حق نشر كتبها وقالت أنها تتناقش مع المحرر الأدبي حول تفاصيل أعمالها وتتقبل ملاحظاته دائما (وطبعاً هناك منفعة للطرفين من مبالغ طائلة تحصل عليها الكاتبة المرموقة ودار النشر) وهي التي نشرت مايربو على الستين رواية ومجموعة قصصية ودواوين شعر وكتب أطفال وسيرة وكتبا نقدية ، في حين – يقول صديقنا الناشر – ان بعض كتابنا الموهومين بمكانتهم ، يخالون أنفسهم قد تجاوزوا معظم روائيي العرب والعالم وإنهم من أجدر الناس بجائزة نوبل للآداب – ربما بضخامة كتبهم وكثرتها حسب – !! ينشرون كل عام روايتين ضخمتين تتضمنان حشواً فائضاً من اللغة والحوارات والكلام الذي لا يضفي أية قيمة على مضمون الرواية ، و بوسعنا – يضيف الناشر- حذف مئة صفحة أو مئتين دون أن تتأثر الرواية ، فأي كاتب هذا وأية حساسية للغة والإبداع لديه وهو لا يدرك متى يتوقف ومتى يحذف ومتى يكثف نصه ويخلصه من الزوائد ؟، وروائيون آخرون مهمومون بمراكمة أعداد كبيرة من الروايات لا يراجعون أعمالهم فتجدها حافلة بمئات الهفوات والارتباك الأسلوبي والمغالطات التاريخية

حال البلدان المنتفضة الثائرة على حكامها أشبه ببلدان تعرضت لتسونامي الطبيعة ، قدر جائح لا مفر منه يحدث اضطرابا اجتماعيا واقتصاديا، وينعكس هذا على شهية الناس للقراءة ، وعلى ديناميكية دور النشر ووفائها بالتزاماتها ، فالناس منشغلون نفسيا وفكريا بمتابعة مجريات الأحداث وترقب ما ستؤول إليه أحوال بلدانهم والبلدان الأخرى وجل ما يقرأونه هو التحليلات السياسية والتعليقات والمتابعات الإخبارية ، وهم أساسا ليسوا من مدمني القراءة ، فلمن يطبع الناشر في هذه الأيام ؟؟ وكيف سيوزع مئات الكتب التي يقوم بنشرها وجل اعتماد الناشر العربي على المعارض الدولية السنوية التي تسهم إلى حد كبير في الترويج للكتب والقراءة وتستدرج أصنافاً من الناس تتراوح أهواؤهم

القرائية بين كتب الحظ والأبراج وكتب الطبخ والكتب التراثية وروايات البيست سيلرز العربية ذات القيمة الأدبية المحدودة التي (يختلف بشأنها النقاد) ككتب علاء الأسواني وأحلام مستغانمي وروايات البنات السعوديات الركيكة وغيرها ..